المحاضرة السابعة: مصطلح الخيال

تعريف الخيال

أ- **لغة:** الخيال لغة الطيف. وخالَ: ظن. وخيّل: أوهم[1]. والتخيل والتخييل يدلان على عملية التأليف بين الصور وإعادة تشكيلها. وقد ورد مصطلح الخيال لدى الجاحظ[2] (255هـ) وابن قتيبة[3] (276هـ) وابن المعتز[4] (296هـ).

والتعبير غير المباشر يقوم على التخييل، وهو من خصائص الأساليب الشعرية، والتخييل بما يحمل من إثارة وجدانية، يمكن أن يمثل جوهر الصورة الشعرية، وقد التفت الفلاسفة والنقاد إلأى تعريفه، وتقييمه، والتمثيل له.

تعريف الخيال في المعاجم

جاء في المعجم المفصل في الأدب[5]:هو ملكة من ملكات العقل، لا تتهيأ لأي إنسان،

٢ ـ هو مَلَكَةٌ من مَلَكَاتِ العَقْل، لا تتهيأُ لأيِّ إنسان، وبها يستطيع الأديبُ أن يخلُقَ صُوَراً تُنعِم على النصِّ صوراً جذَّابَةً، وتمنح القارىء واسطةً لتوسيع آفاقه. وقد اهتم الرومانتيكيون بالخيال، وجَعَلُوه مِرْقَاةً لكثير من أعمالهم. والخيال ضروريٌّ للإنسان ولا غُنْيَةَ له عنه. وهو كالنهر الجميل المتدفق في صدر الإنسانية.

التخييل عند الفلاسفة

لعل الكندي هو أول من حدد الدلالة الاصطلاحية للتخييل، إذ جعله مرادفا للتوهم. ثم نجد الفارابي (339هـ) يستخدم هذا المصطلح. وقد أخذه ممن سبقوه من نقلة كتاب (الشعر) لأرسطو، أو مختصريه، فقد استخدمه متىّ بن يونس (328هـ) في ترجمته لكتاب أرسطو ولكن مصحفا (التجميل أو التبجيل) وبذلك فإن الفارابي لم يعرف التخييل وإنما أشار إلى أثره النفسي. وأثره النفسي عنده يشبه أثر المحاكاة في الفعل التمثيلي المأساوي عند أرسطو، أي الفعل الذي يثير الرحمة أو ا لخوف فيؤدي إلى تطهير الانفعالات.

---

[1]- لسان العرب: مادة (خيل). نقلا عن محمد عزام: المصطلح النقدي في التراث العربي ،

[2]-الحيوان 250/9.. محمد عزام: المصطلح النقدي في التراث العربي

[3]- ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ص 87. محمد عزام: المصطلح النقدي في التراث العربي ،

[4]- ابن المعتز: فصول التماثيل. نقلا محمد عزام: المصطلح النقدي في التراث العربي ،

[5]- محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب

وهذا يعني أن الفارابي يفهم التخييل على أنه الإيحاء، أو خلق حالة نفسية في ذات المتلقي، هي قبول أو نفور، يقول: "والأقاويل الشعرية هي التي تركب من أشياء شأنها أن تخيل في الأمر الذي فيه المخاطبة حالا أو شيئا أفضل أو أخس، وذلك إما إجمالا أو إجلالا أو هوانا أو غير ذلك"[1].

التخييل عند النقاد

عرف النقاد العرب ألوان الخيال، ولكنهم لم يقفوا لدراستها إلا عندما تتجسد في صور كالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، فقد فصلوا القول في هذه الفنون البلاغية. دون أن أن يناقشوا الخيال بصورة عامة، ولعل عبد القاهر الجردجاني (471هـ) من أوائل النقاد العرب الذين عرفوا التخييل، وهو عنده "ما يثبت فيه الشاعر أمرا هو غير ثابت أصلا، ويدعي دعوى لا طريق إلى تحصيلها، ويقول قولا يخدع فيه نفسه، ويريها ما لا ترى"[2]. وبهذا فهو ينحو بمصطلح التخييل منحى نابعا من ثقافته البلاغية، وفكرته عن الإعجاز مبتعدا عن المؤثرات اليونانية التي اعتمدها الفلاسفة العرب. فهو يهمل مصطلح المحاكاة ويتكفي بمصطلح التخييل، فيعود به إلى معناه اللغوي ويعرفه بأنه " هو ما يثبت فيه الشاعر أمرا هو غير ثابت أصلا، وأنه خداع للعقل، وضرب من التزويق"[3].

ولعل حازم القرطاجني (684هـ) من أشهر المتأثرين بالثقافة اليونانية، فهو يقتبس من أرسطو عبر ابن سينا وابن رشد، ويتابع عبد القاهر في أن التخييل إيهام دون أن يذهب مذهبه في أنه خداع. ومن هنا يبدو حازم أدق الذين عرفوا التخييل. و التخييل عنده هو أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه أو نظامه. وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيّلها وتصوّرها أو تصوّر شيئا أخرجها انفعالا من غير روية"[4].

والتخييل عند حازم تصور تنشئه في نفس الشاعر عناصر الشعر المختلفة (اللفظ والمعنى والوزن والنظم والأسلوب)، ويؤدي إلى انفعال لا واع. ومن أجل تحسين التخييل يوجب حازم الابتعاد عن الكلام الساذج. وهذا يعني أن التخييل عمل ذكي يتطلب أن تتوالى في الكلام

---

[1]– إحصاء العلوم، ص81–85. نقلا عن: أ محمد عزام: المصطلح النقدي في التراث العربي

[2]– الجرجاني: أسرار البلاغة، 253. نقلا عن محمد عزام: المصطلح النقدي في التراث العربي ،

[3]– الجرجاني: أسرار البلاغة، 253. نقلا عن : محمد عزام: المصطلح النقدي في التراث العربي ،

[4]– منهاج البلغاء، ص89. نقلا عن محمد عزام: المصطلح النقدي في التراث العربي

التركيبات المستحسنة.، والترتيبات والاقترانات، والنسب الواقعة بين المعاني مما لها الأثر النفسي القوي.

وقد استطاع حازم أن يتجاوز خطى النقاد المتقدمين، وأن يقيم توازنا بين عناصرها الأربعة: العالم الخارجي، والمبدع، والنص، والمتلقي، وأن يربط فاعلية التخييل بالقدرة على إدراك التناسب بين الأشياء (وهي القدرة الشاعرة).

وبهذا يعمق الشعر وعي المتلقي، ويمكنه من رؤية الأشياء بمنظور متميز أشمل وأدق مما ألفه في إدراكه العادي. وإذا كان أهم ما يميز الشعر قدرته التخييلية التي تجمع بين الأشياء المتباينة، وتعيد تشكيل الواقع من جديد، فإن من الضروري أن تنحصر فاعلية التخييل الشعري في نطاق الممكنات دون المستحيلات.[1] وذلك أن الصور التي تشكلها قوة التخييل إذا كانت مستحيلة نفرت منها النفس: "والمحال تنفر عنه النفس، ولا تقبله البتة، فكان مناقضا لغرض الشعر. إذ المقصود بالشعر الاحتيال في تحريك النفس لمقتضى الكلام بإيقاعه منها بمحل القبول بما فيه من حسن المحاكاة"[2].

[1]– محمد عزام: المصطلح النقدي في التراث العربي

[2]– نفسه، ص